الطب و الأدب

ليس من با ب المكابرة أن نقول ان الطب النفسى من بين كل فروع الطب البشرى اكثر قدرة لفتح اكثر من مدخل لشكوى المريض بحيث يعرف الطبيب النفسانى من أسرار المريض و حياته الخاصه..ميوله..مزاجه ..وقلقه ومسراته أكثر من اطراف علاقاته العائليه و بالضرورة الوحيد بين الكتاب و الأدباء يرصد و يسجل و يحلل نفسية المجتمع الذى يحمل همومه بحكم مهنته..فالظاهرة العارضة فى نظره مؤشرات دقيقة لابعاد عميقة فى بناء المجتمع و تركيب الاسره.. وبالفعل و الممارسة الوحيد بين الشعراء الذى ينبغى ان يعرف ماذا يكتب ؟ لمن سيكتب ؟و ماذا ينبغى ان يقول؟ وعليه فى البدء تحديد متى يستعمل الرمز ومتى يلجأ الى المخاطبة المباشره؟ وأى القطاعات اكثر قدرة على فهم و هضم ما يقول؟ أليس رسالة الأديب كل هذه الأشياء مجتمعة؟

بينما يخاطب الشاعر الآخر مهما كانت أصالته و قدرته قطاعا يفترض فيه قدرا من الوعى ودرجة من الذكاء ورهافة الحس الفنى تجعله قادرا على استيعاب مدلول الرمز فى الميثولوجيا الاغريقيه ..سيزيف و بروميثيوس..ليصعد القارئ الى منزلة الشاعر لا ان ينزل الشاعر الى منزلة القارئ خشية مرض الضحالة و الاسفاف.!

واذا جاز هذا التعميم فى مجتمعات اخرى وصلت درجة من الوعى اصبحت مؤلفات جوركى وهيجو و ديستوفسكى و شكسبير و سارتر و أغاثا كريستى جزءا صغيرا من مكتبة الاسرة..فاننا واهمون اذا كتبنا بنفس الاسلوب لأفراد كثيرا ما يجهلون أشهر الأدباء السودانيين ويعجزون عن ادراك الفرق بين القصة و المسرحية الخ.

ان الطب النفسى قيثارة جديدة تعزف انغاما متجددة مشحونة بعنصر المأساة .. أزمة اليوم ..كآبة الغد..الأرق..الشعور بالخوف ..الرغبة فى الانتحار..فقدان الذاكره والخوف من مرض الاعصاب..تراجيديا محبوسة فى صدر الطبيب النفسى تملأ رئتيه و تشغل قلبه و تمزق وجدانه وبذلك يتحقق له امكانية نقل الحياة الى الناس فى اصدق صورها وادق ملامحها

فى الداخل ..والصور تتداعى فى مخيلته بشكل عفوى يصبح فى النهاية لوحة كقوس قزح تنضح بالالوان..الوان التعاسة التى ذاق طعمها بكل الانفعال التلقائى و الانسجام الحقيقى فيصبح للظاهرة مدلول نفسى أكبر من التفاصيل الجزئية فالكل ليس مجموع الأجزاء فى نظر الطبيب النفسا

نــى وهــذه مصـيدة الشـاعر الـذى لم يجـد نفسـه بعـد فيلجـأ الى اصـطياد الغريـب والغـامض فينفـذ الى قلـب القـارئ مـن جهـة العـين العميـاء والجانـب المشـلول بفضل تركيبة العقار السحرى الذى يحدثه مزج الرموز فى العمل الشعرى,

ان علـى الطبيـب الـذى يكتـب الشـعر ان يـبتر القلـق و التـوتر و الـذى هـو سـبب نكسـة الفـرد وتحولـه الى العزلـة و مـرض الاعصـاب..ويزيـد مـن مـرارة هـذه النكسـة انغمـاس الفـرد فـى كـافp ملذاتـه الحسـية..المخـدرات ..الشـذوذ الجنسـى..الخ و الطبيـب النفسـى عليـه عـبء النفـاذ الى أوهـام النـاس أولا ثـم تبديدها ثانيا بالادراك المتكامل لنوعيتها و ظروفها و ملابساتها

ان عليـه خلـق يوتوبيـا جديـدة أو مدينـة فاضـلة فـى عقـل كـل فـرد وحـس كـل جماعـة..لا مدينـة خرافيـة علـى أنقـاض وهـم عـالق كخيـط العنكبـوت فى جدران المعابد القديمة التى شوهت وجه الحياة و جمدت حركتها.

أن يفلـت مـن قبضـة الكتـاب الى رحابـة الممارسـة للعـلاج..بالكلمـة ..بالايحاء..بالاسترخاء..بالموسيقى..بالشعر.

مـن مقدمـة ديـوان (قصـائد مـن بريطانيـا) 1 ص13
دار الثقافةبيروت-1975